على الأذى ولا أحيلكم من الاستزادة في غير شكوى والتعريض في غير
تعنيف والاحتجاج في غير تبكيت ولا توقيف
ولكن شر القول ما لم يسمع ولم يكن لقائله فيه منتفع واشبه
البر بالعقوق ما استكرهت عليه النفوس ولم يكن له باعث من
النية والضمير كما قيل

وليس بمغن في المودة شافع إذا لم يكن بين الضلوع شفيع

وما آمن أن أكون قد غررت بمن كتبت له إليك فإن كنت قد جلبت
عن كل جهة فهنئاك سوء العهد وله الكتب تجني ما أماتت الفراق
وتجدد عهد المودة ما أخلقه الزمان وقد انقطعت بيننا
انقطاعا كاد يعرض الشك معه في اليقين المعتمد عليه والصحيح
الموثوق به من إخائك على أني لا أصرف شيئا من العتاب إليك
إلا عدت على نفسي بأمثاله لك واستوفيت عليها استيفاء غير
مسامح لها في المعذرة ولا معذر في المعاتبة فإن الحقوق
بيننا توجب من التواصل ما نحن على ضده في ظاهر التعامل فأما
ما انطوى عليه النيات ودا وإخلاصا فأرجو أن أكون فيه
على منزلة تعجز المجتهد وأن تكون على مثلها وذلك هو الغرض
المقصود والمغزى المأمول فإن الواصل بنيته وإن انقطعت
كتبه واصل والواصل بنفسه إذا مذق وده قاطع كاتب
أنت أعزك الله واحد عندي مودة غير مدخولة وعشرة غير
مملولة ودوام عهد على طول المدة وحسن احتمال للصنيعة
واستقلال الأكثر العارفة مع سعة العذر ولين المطالبة

والتعهد

والتعهد بالصفح عند الزلة والصبر على الجفوة في غير ذلة والتغابي
الذي يجلب الغفلة واستفراغ المجهود في تحري الموافقة
ولست مسئولا إلا ما تبتغاه ممكنا وتبذله عفوا وتنهد له
متبرعا وتأتيه مختارا فإن يقبل ما بذلنا وتوجب ما سألنا
فالله يجمل معك والرغبة إليك وإلا فحقير ما أضعت ويسير ما ضيعت
على ظننا يتجاوز حد الظنون شبيها بالعيان وقربا من اليقين
لا يفند رأيك ولا يسوء اختيارك إن شاء الله سعيد بن
عبد الملك في الحث على المواصلة أكره أن أصف لك ولنفسي موضع
العذر والقبول فيكون أحدنا معتذرا مقصرا والآخر متقبلا
متفضلا ولكني أذكرك ما في التلاقي من تجديد البر وفي التخلف
من قلة الصبر والله أسأل أن يوفقك وإيانا لما يكون معه عقبى
شكر لا عقبى صبر كاتب أخبرني جعلني الله فداك أحصلنا
منك على أعلالات تمحلها ومعاذير تتخيلها في هجر تظهره وتدعي
أنك لا تستشعره وجفاء تبديه وتزعم أنك لا تنويه لا كان
من قبل هذا ولا أفلح لأني إنما أحب اعتقاد الصديق لي الخير
ليوليني وأكره انطواء العدو لي على القبيح خوفا من أن يبليني
وإذا كان فعلاهما بي سيين لم أعرف بهما فاضلا لأن السرائر
مغيبة عن العيان ولو اطلع عليها لما كان في صفاصا فيها نفع
ولا في دخلها ضرر ما لم يبد من أهلها فعل يسوء أو يسر
بل العدو الذي أحذره ويسرني أحب إلي من صديق أمنه
ويغرني وأسكن إليه ويضرني ولهذه العلة تراني أحالف